تفريغ مادة مرئية بعنوان

حول كتاب

"الوهابية والدولة العثمانية"

١٠/ ٨/ ٢٠١٧ – ١٨ ذي القعدة ١٤٣٨

مدة المادة: ١٦:١٥

أبو قتادة الفلسطيني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن كتابي الذي ذكرته في رسالة أو جزء جؤنة المطيبين " الوهابية والدولة العثمانية"

للأسف، كان هذا الكتاب هو إحدى المشاريع العلمية التي بدأت بها وجمعت جمعا طيبا، ولكن تقلبت الأحوال والظروف: السجن، وقبله الملاحقة والاختفاء، ثم بعد ذلك التسفير والعودة إلى الأردن؛ فتغيرت الأحوال.

والمكتبة لما نقلت فقد منها بعض الكتب المهمة: أخذتها الشرطة الإنكليزية وما زالت عندهم.

و بعض الأوراق أخذت –حتى أنهم دخلوا علي وأنا في السجن، لأول مرة تدخل الشرطة إلى السجن كما قال لي الحراس، فتجعل الخلية أو لنقل الزنزانة، يعني الزنزانة تكون مكان الجريمة– أخذوا مني أوراقا كثيرة؛ منها ما كتبته عن القواعد الأصولية في كتاب الأم، ومنها ما يتعلق بكتاب المحلى لابن حزم: جمعت خلال سجني في آخر مرة ما أخطأ فيه ابن حزم قياسا، بمعنى: أنه استخدم القياس في بعض مسائله.

ومن هذه الأوراق التي فقدت الكثير منها هذا الكتاب " الوهابية والدولة العثمانية "؛ لكن دعوني أتحدث باختصار عنه لأهميته.

بلا شك أيها الأخوة الأحبة، أننا في موضوع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب –طبعا أنا كلمة الوهابية استخدمها لأنها مصطلح سياسي، وليس كما يستخدمها العصاة وأعداء هذه الدعوة– يعني الآن لو أردنا أن نبين فنقول: إن السلفية لها تجليات في العالم الإسلامي تاريخا ومعاصرة، لها تجليات في البلاد وفي الأحوال.

وهذا حاولت أن أقاربه في مشروع " ألف كتاب قبل الممات " وأكثر ما تكلمت عنه مقاربة –والموضوع يعني أطول من هذا بكثير، في نفسي وفي الواقع– أكثر ما تكلمت عن هذا الموضوع وهو تجليات الدعوة السلفية بحسب الأزمنة وحسب الأمكنة، عندما تكلمت عن كتاب الشيخ العلامة تقي الدين الهلالي "الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة".

و أنا هنا أسجل بأن الكثير من الأخوة أرسل لي معلومات جديرة بالانتباه في موضوع الشيخ تقي الدين، وبعض من ذكرته كالشيخ العلوي شيخه الذي سماه شيخ الإسلام، أرسل لي كثيرا من الأحبة معلومات كنت أتمنى أن تكون معي وبين يدي قبل أن أتكلم عن الكتاب، لأن الموضوع متشابك، وقد ثبت أني لم أطلع على كل جوانبه؛ لكن إن شاء الله الأمر يسير يعني لم يفتني الشيء الكثير، ولكنها مهمة.

ولا شك يعني في صور هؤلاء المشايخ السلفيين في فترة من الفترات الزمنية وفي أمكنة مختلفة من العالم الإسلامي؛ ولا شك أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي دعوة سلفية نشأت في نجد ولها ظروفها.

ومما استغربت منه وتعجبت أن بعض مشايخ السلفية المعاصرين -الذين هم من خريجي الدعوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: قراءة لكتبهم ولهذه المدرسة- أنهم لا زالوا على تكفير الدولة العثمانية دون اعتبارات سياسية كثيرة!!

فكان هذا الباب هو الذي دفعني لأن أجمع هذا الكتاب لأبين خطأ هؤلاء المشايخ المعاصرين وخطأ من كفرهم -العثمانيين- من الدولة الثانية خاصة.

باختصار، الخطوط العريضة لهذا البحث والمسار الذي سرت عليه: أن هناك تطور حدث بين الدولة -ولم نقصد أن نسميها دولة في نجد، ولكن بشيء من التجاوز- التي أنشأها محمد بن عبد الوهاب بتحالفه مع محمد بن سعود الكبير، في علاقتها مع الدولة العثمانية -لنصطلح على هذا من غير تعيير، وليس متابعة للضالين في تسميتها الدولة الوهابية- مرت بتطورات.

هناك رسالة موجودة في الدرر السنية: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسل رسالة إلى والي الدولة العثمانية في مكة يبين فيها أنه تابع للدولة سياسيا، خاضع لها، غير خارج عنها؛ هذه الرسالة ليست من رجل يجهل حال الدولة العثمانية... محمد بن عبد الوهاب لما رجع إلى الدرعية، ورجع إلى مكانه في شرق الجزيرة، كان قد تجول في العالم الإسلامي، ودخل إلى العراق، وذهب إلى مكة والمدينة؛ فهو يعرف الحالة الاجتماعية

والدينية لهذه الدولة، فإرساله هذه الرسالة التي يعلن فيها بيعته وانتماؤه للدولة العثمانية -ولم تتغير الدولة العثمانية في تلك الفترة إلى ما سيأتي من أحوال- يدل على أنه كان واعيا لما يقول.

بعد وفاة محمد بن سعود الكبير تولى ابنه عبد العزيز -الذي هو تلميذ محمد بن عبد الوهاب- هنا نشأت فترة...

بعض أهل العلم أرسل رسالة -وأنا بحاجة للتوثق منها- يقول: بأن محمد بن عبد الوهاب في آخر عمره نزع يده من الطاعة.

يعني: نزع يده من الطاعة على أي وجه؟!! من المخطئ؟؟ هو يريد أن يقول: نزع يده من طاعة بني عثمان، من الدولة العثمانية تكفيرا لها؛ ما الذي عدا مما بدا؟؟!!!!! ما هو الشي الجديد الذي طرأ لديه؟!!

من هنا: أنه لما قام -عندي وفي قراءتي- عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو الأمير الثاني -بعد التحالف بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود- لما قام بغزو مكة، كان غزوه سياسيا لا علاقة له بالدعوة.

و هنا نفتح قوس مهم جدا ((إن الذين جعلوا الدولة الوهابية هي الدعوة إلى التوحيد، فهنا وقع الضلال وهنا وقع الغلو)) وهذا نجده في التنظيمات التي تحمل هذا التوجه: في أن مخالفة الدولة هو مخالفة التوحيد؛ وهذا خطأ، وهذا نجده -للأسف- يتكرر: بأنه إذا خالفت تنظيما أو خالفت دولة تدعو إلى التوحيد، فخالفت الجانب السياسي ورفضت الدخول في طاعتها، فأنت قد خالفت التوحيد فقد أشركت، هذا المنهج أساسه هذا الانحراف عند بعض المشايخ، وما زال إلى الآن.

فأنت عندما تنتقد بعض الدول اليوم في بعض الجوانب، يقول: أنت انتقدت التوحيد...إلى يومنا هذا -مع وجود الافتراق الواضح الصريح بين الدولة وبين الإسلام، بل إن الدولة أصلا خرجت من الإسلام- ما زال البعض مع ذلك يضع الإيمان بالدولة من أركان التوحيد، إذا خالفتها خالفت التوحيد.

فلما قام عبد العزيز بن محمد بن سعود -وهذا الذي أريد أن أقوله- بغزو الشريف والي مكة، والأشراف في ذلك الوقت كانوا هم خدام وولاة للدولة العثمانية، إنما غزوه كان -وإن بدا للتوحيد كما يقول- غزوا سياسيا للتوسع وبسط السيطرة.... هذا الصراع نشأ.

الآن دعونا من الدولة الأولى.. فقد قضي عليها... نأتي الآن إلى مسألة مهمة:

نرى في مشايخ الدعوة -الدعوة الوهابية- في الدولة الثانية تكفيرا للجيش العثماني؛ لماذا؟؟ لأنهم يرون ما فعله إبراهيم باشا، وهو ابن محمد علي الخديوي، يرون في عقولهم ما رأوه من أحوال هؤلاء الجند أنهم جند كفرة، أي: جنود إبراهيم باشا بن محمد علي الخديوي.

ولذلك كفروا الدولة العثمانية، وهذا موقف سياسي، لا ديني؛ بغض النظر عن هذه الممارسات في هذا الجيش. إلا أن هؤلاء مخطئون، لأن محمد علي أصلا لم يكن تابعا للدولة العثمانية لما قام بغزوهم، صحيح هو أخذ الفرمان الاسمي منهم من أجل أن يعطي لنفسه الشرعية، لكن كل من درس -والوثائق تثبت ذلك- شخصية محمد علي رآه تابعا للفرنسيين، وتبعيته للفرنسيين الغزاة كانت تصل لدرجة أن يكون عدوا للدولة العثمانية.

يخطئ هؤلاء وينسون بأن محمد علي غزا الدولة العثمانية، وأسقط سلطانها في بلاد الشام، حتى وصل إلى حلب؛ ولولا تدخل القوات الانكليزية بأن قاتلته وأرجعته... لا نصرة للدولة العثمانية، ولكن عداوة لفرنسا التي تحالف معها محمد علي.

يعني: قامت بريطانيا بضرب محمد علي لما غزا الدولة العثمانية وقضى على سلطانها في مصر، وفي جزيرة سيناء، وفي بلاد الشام، وفي شمال الجزيرة العربية..حتى وصل إلى حلب.. مقاتلا للدولة العثمانية.

إذا: لم يكن تابعا للدولة العثمانية، وما قام به من ضرب الدرعية أولا، لما ذهب ابنه طوسون وصالحهم: أرسل محمد علي ابنه طوسون، فقاتل الوهابيين ولم ينتصر عليهم، وأثخنوا في جنوده إثخانا كبيرا، فتصالح

معهم؛ وهذا الصلح يدل على أن المواقف كانت سياسية وليست دينية. فلو كانت دينية لما كان هناك صلح، لكان قتالا على التوحيد؛ تقاتلونهم أو يسلمون، على أساس أنهم مرتدون.

إذا محمد علي لم يكن في حقيقة الأمر تابعا للدولة العثمانية، حتى يحسب عليها في قتاله للدولة الوهابية... هذه النقطة مهمة جدا وأنا أثبتها بالوثائق وبالنصوص البينة وبحكم المعاصرين لهذا الأمر.

هذه النقطة الأولى، وتحتاج لتوسع أكثر من هذا، ولكن أنا أضع النقاط على الحروف سريعا ليأتي غيري إن شاء الله يبحث فيها، وربما يخرج معه الشيء الكثير وأكثر من هذا.

النقطة الثانية في تكفير الوهابيين للدولة العثمانية: نجد في كلام حمد بن عتيق والدولة الثانية نجد تكفيرا للدولة العثمانية، لما يرون من مفاسد في البصرة في جنوب العراق، على أساس أن البصرة خاضعة للدولة العثمانية؛ وهذا خطأ... البصرة كانت من الأماكن القلقة جدا في سلطان الدولة العثمانية عليها، بل في وقت مبكر دخلها الإنكليز وصارت لهم سيطرة أكبر من العثمانيين عليها، وصار الصراع كبيرا حولها، وما كان يجري إنما كان بسبب ضعف الدولة العثمانية فيها؛ فتحميل ما يجري في البصرة وفي جنوب العراق... كانوا يقولون: هذه دولة كفر.

وأنا مضى في كلامي، وكان الكلام عن الشيخ حمد بن عتيق، بأنه ليس من أهل العلم المحققين.. هو كان واعظا. ولذلك بعض أئمة الدعوة في نجد نصحه ووعظه بأنه يطلق عبارات عامة -كما يطلق بعضهم اليوم- تؤدي إلى الغلو، ونصحه بعض أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعا.

فهذه العبارات... بأنه ينتشر الخمر.. هذا ليس علة لتكفير الدولة. انتشار الخمر في البلد أو انتشار الخنا أو كذا.. هذا معصية ولا شك، ولكن ليس من علل التكفير.

القصد: بأن هذا الكتاب هذا وضعه وهذا مساره، وهو أولا: رد على من رأى أن الدولة العثمانية دولة مشركة وكافرة نصرة للصراع السياسي بينها وبين الوهابيين.

وثانيا: بيان أن هؤلاء الخصوم -أي: خصوم الدولة- لم يكونوا خصوما للدعوة.

يعني: هذا عجيب أننا نرى فيمن كتب في تاريخ الدعوة الوهابية أنهم يرون كل من قاتلتهم الدولة ليدخلوا في سلطانها، كانوا كفارا مشركين. وهذا خطأ كبير جدا... ربما الناس لهم سلطانهم ولا يريدون الدخول في سلطان الدولة، ليس لأنها دعتهم إلى التوحيد فرفضوا، ولكنهم يرفضون الدخول في سلطانها السياسي.

سموهم بغاة... سم الدولة الوهابية بغاة على الدولة العثمانية، ولكنه صراع سياسي وليس بديني.

هذا ما أردت بيانه، وجزاكم الله خيرا

والحمد لله رب العالمين

تفريغ العبد الفقير لرحمة ربه أبي طالب الديري